



الشعر في عصر صدر الاسلام

وهو يبدأ من بعثة الرسول (عليه الصلاة والسلام) والخلفاء الراشدين وينتهي بمقتل اخر خليفة راشدي وهو علي بن طالب (رضي الله عنه) .

موقف الاسلام من الشعر

يظن بعض من دارسي الادب والنقد ان الاسلام وقف موقفا معاديا من الشعر والشعراء ويؤيدون كلامهم هذا بأدلة من القران الكريم ، والسيرة النبوية الشريفة ، واقوال النقاد العرب وغير العرب .

ومن هذا المنطلق خرجت قضية كبيرة ومهمة جدا في عصر صدر الاسلام عرفت باسم (موقف الاسلام من الشعر) ، لذا سنحاول هنا تسليط الضوء على ذكر تلك الادلة ومناقشتها بأسلوب موضوعي منهجي وواضح .

١- ادلة قرآنية

ان اول دليل اعتمد عليه اصحاب ذلك الرأي هو القران الكريم ، واستشهدوا بقوله تعالى : ((وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، الم تر أَنَّهُم في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ...)) الشعراء : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وهم بهذا الدليل يقولون : ان القران يحارب الشعر ، ويحط من قدر الشاعر ويصفه بأوصاف مشينة ، غير ان هذا الدليل دليل مبتور لنكمل قراءة الاية الكريمة ، قال تعالى : ((وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، الم تر أَنَّهُم في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) . وبقراءة الاية كاملة نجد ان الامر ينجلي ويتضح ان الاسلام - القران - لا يحارب كل الوان الشعر العربي ، بل ان المذموم من الشعر هو الذي قاله شعراء



المشركين في مهاجمة النبي (عليه الصلاة والسلام) وهجاء الصحابة (رضي الله عنهم)

وما لاكوا به اعراض المسلمين هذا هو الشعر الذي حاربه الاسلام ، بالإضافة الى ما يوضحه الاستثناء الوارد في قوله تعالى : ((إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات ...)) فالقران اذن لم يهاجم الشعر الذي قاله شعراء المسلمين فالنص القراني قسم لنا الشعراء الى قسمين :

- ١- شعراء المشركين الذين وقفوا ضد الدعوة الاسلامية .
- ٢- شعراء المسلمين الذين التزموا بمنهج الدعوة الاسلامية .

اما النصوص القرآنية الاخرى التي استشهد بها الذين ادعوا ان الاسلام حارب وحط من قدر الشعراء ، وهي مرتبة حسب نزولها في الايات الاتية :

- ١- قال تعالى : ((وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)) . يسن : ٦٩
- ٢- قال تعالى : ((وَيَقُولُونَ اِنَّا لَتَارِكُوا الْهَتَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)) . الصافات : ٣٦
- ٣- قال تعالى : ((بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ)) الانبياء : ٥
- ٤- قال تعالى : ((اَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ)) . الطور : ٣٠
- ٥- قال تعالى : ((وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ)) . الحاقة : ٤١

هذه الايات جاءت كرد فعل على مشركي قريش فقد اتهموا الرسول (عليه الصلاة والسلام) بأنه شاعر ، وبن القران الكريم شعر ، فتصدت لهم هذه الايات لتبعد عنهما هذه التهمة لكن هنا لا بد من



الإشارة بان نفي صفة الشعر عن القرآن الكريم والرسول (عليه الصلاة والسلام) لا يعني الحط من قيمة الشعر والشعراء ، وإنما هو من باب دفع الشبهة عن الدين .

٢- ادلة من السيرة النبوية

أ- موقف الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الشعر .

لقد استدل الذين ادعوا ان الاسلام حارب الشعر بقوله (عليه الصلاة والسلام) : ((لان يمتلى جوف احدكم قيحا خيرا له من ان يمتلى شعرا)) ونريد ان نقول هنا انهم يغالطون انفسهم ، لان للحديث تكملة ينبغي الا تحذف وهي ((لان يمتلى جوف احدكم قيحا خيرا له من ان يمتلى شعرا هجيت به)) اي الشعر المقصود هو الشعر الذي تعرض به المشركون للنبي (عليه الصلاة والسلام) .

اما مواقف الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الشعر والشعراء فهي كثيرة ، نذكر منها قوله (عليه الصلاة والسلام) : ((انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) وقال (عليه الصلاة والسلام) : ((انما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث)) . ويروى عن عائشة (رضي الله عنها) ان النبي (عليه الصلاة والسلام) بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر ، كما ان حسان بن ثابت قد قال للرسول (عليه الصلاة والسلام) : ((لو وضعت هذا - اخرج لسانه - على حجر لفلقه ، فقال له الرسول (عليه الصلاة والسلام) : اذهب الى ابي بكر ليعلمك مثالب القوم ، اذهب ومعك جبريل)) .



م .د. سعد عدوان وهيب

المحاضرة الثانية

محاضرات الادب الاسلامي

وكان الفن الشعري هو اول وسيلة سلاح استخدامها الرسول (عليه الصلاة والسلام) للرد على شعراء المشركين ، فقد كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة يدافعون عنه ويردون على شعراء مكة وغيرهم من خصومه وهم (حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة) .

كما استحسن الرسول (عليه الصلاة والسلام) الشعر الجاهلي ، فقد استمع النبي (عليه الصلاة والسلام) قول طرفة بن العبد :
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
وياأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : ((ان هذا من كلام النبوة))

ويكفي ان نذكر ان النبي (عليه الصلاة والسلام) عفا عن كعب بن زهير ،
وخلع عليه برده بعد ان استمع الى قصيدته التي مطلعها :
بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

الى غير ذلك من مواقف وأحاديث يصعب حصرها وكلها لا تدل إلا على موقف واحد هو ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) منح الشعر والشعراء مكانة ومجلسا يليق بهم ،

ب- موقف الصحابة (رضي الله عنهم) من الشعر

لقد احتذا الصحابة (رضي الله عنهم) سنة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) في موقفهم من الشعر ، فقد كان يرددون الشعر كثيرا ، فأبو بكر (رضي الله عنه) يقدم النابغة ويقول : ((هو احسنهم شعرا ، وأعذبهم بحرا ، وأبعدهم قعرا)) . وهذا يشير الى ان الخلفاء والصحابة كانوا نقادا بفطرتهم .



م. د. سعد عدوان وهيب

المحاضرة الثانية

محاضرات الادب الاسلامي

وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : ((عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم)) لذلك يقول عبدالله بن عباس : ((اذا اشكل عليكم شيء من القرآن فردوه الى الشعر الجاهلي)) .

وقد كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رسالة الى ابي موسى الاشعري يقول فيها : ((مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معاني الاخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الانساب)) ، وهكذا فقد وجد في الشعر اخلاقا ، وأفكارا ، وتاريخا . وبذلك فان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يحارب الشعر ، ولم يعاقب الحطية او غيره من الشعراء الا لأنهم اذعوا في الهجاء ، لذلك سجن عمر الخطاب (رضي الله عنه) الشاعر الحطية ، لأنه قد هجا الزبير قان بن بدر ، فاخذ الحطية يتوسل بالخليفة من ان له اطفال صغار فعفا عنه بعد ان عاهده ان لا يعود الى مثل هذا الهجاء ، وهذا يتضح بقوله :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

هذا عن قصصه مع الشعراء ، اما عن اراءه في الشعر عامة فقد اثر عنه انه كان يقول ; ((افضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في حاجته يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم)) .



ويعلق الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على قول زهير :
ومهما تكن عند امرئ من خليفة

وان خالها تخفى على الناس تعلم

حيث قال عثمان : ((احسن زهير وصدق)) .

اما علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فقد كان شاعرا مجيدا حارب الكفار
المشركين بالسيف والكلمة والى جانب شاعريته فقد عرف لنا الشعر بقوله :
((الشعر ميزان القوم او القول)) ففيه يوزن ادب الرجال ، وقدراتهم البيانية .

٣- اقوال النقاد العرب

١- الاصمعي : (١٢٣ - ٢١٦)

لقد اعتمد عدد كبير من الباحثين على نص للأصمعي ليبرهنوا على ضعف الشعر
في مرحلة الدعوة الاسلامية ، وذلك حين يقول : ((ان طريق الشعر اذا دخلته
في باب الخير لان وضعف ، ألا ترى ان شعر حسان بن ثابت كان قد علا في
الجاهلية وضعف في الاسلام)) .

وهؤلاء الذين احتجوا بهذا النص على ضعف الشعر في عصر صدر الاسلام
استندوا الى كلمة (لان) اي (ضعف) ، اذ ان عندهم ان الموافق اللغوي للفظة

اللين هو الضعف . اما معاجم اللغة فتضم في مقابل اللين (النعومة ، والرقعة ،
والسهولة) ، اذ جاء في الحديث النبوي الشريف ((يتلون كتابا لنا)) اي سهلا
على سنتهم ، لذلك فهو لا يعتمد كشاهد اثبات على ضعف الشعر في عصر صدر
الاسلام .

اما شعر حسان من انه قد علا في الجاهلية وضعف في الاسلام ، فهذا يرجع الى
تغير مضامين شعره وتحويلها من مجال الشر الى مجال الخير من عدل ، وإحسان



، وحب ، وتضحية ، وإشادة بالإسلام وغيرها مما لا يمكن حصره يدخل جميعه في باب الخير .

٢- ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١ او ٥٢٣٢)

يقول : ((ف جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس ، والروم ، ولهت العرب عن الشعر وروايته ...)) .

ولا نعتقد ان قارئاً او محلاً منصفاً سيفهم من هذا النص ان ابن سلام يدين الاسلام ويحملة مسؤولية نزول مستوى الشعر ، او انحدار مكانته ، او ضعفه ، وذلك لان النص المذكور يقتصر على ذكر حقائق تاريخية ، هي انشغال العرب في العصرين النبوي والراشدي عن الشعر وروايته بالجهاد والفتوحات ، واذا كان الاسلام قد دعا الى الجهاد في سبيل الله للدفاع عن العقيدة ، فانه قد دعا الشعر لمواكبة هذا الجهاد ، وذلك من اجل استنهاض الهمم ، وإلهاب مشاعر الحماسة ، وخلق الاندفاع في نفوس المقاتلين ، فصور الشعر مشاعر المقاتلين ، وعبر عن روح الجهاد ، فكان الشعر هتاف المعركة ونشيد الشهادة ، فقد قال النبي (عليه الصلاة والسلام) للشاعر كعب ابن مالك وهو يوجهه الى الجهاد : ((ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)) . فضلا عن ذلك فقد كان الشعراء يصفون جو المعركة ويرثون الشهداء ، ويتغنون بالانتصارات التي يحققونها في تلك الحروب



يقول ابن خلدون : ((انصرف العرب عن الشعر اول الاسلام ، لما شغلهم من امر هذا الدين ، والنبوة والوحي وما ادشهم من اسلوب القران الكريم ونظمه ، فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم زمانا ... ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي (عليه الصلاة والسلام) وأثاب عليه ...)). .

ان ابن خلدون في هذا النص يحدد توقف الشعراء عن الشعر مدة نزول الوحي على الرسول (عليه الصلاة والسلام) غير ان الواقع يواجه هذا الحكم مواجهة واضحة ، لان هذا ينقضه واقع الحركة الشعرية الذي كان زاخرا بالنشاط الشعري المصاحب للإحداث المعبر عنها ، واذا كان التشاغل قد صد شعراء المسلمين عن قول الشعر في عصر صدر الاسلام ، لكن هذا لا يمكن ان يصدق مع شعراء المشركين والمعارضة ممن لم ينشغلوا بالدعوة ، بسبب ازدهار واقع الحركة الشعرية بين صفوف المعارضين ، وهذا يرجع بالتأكيد الى الاسلام ، وهناك تناقض وقع فيه ابن خلدون عندما ناقض نفسه بما قاله في اول كلامه بما قاله في اخره من ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) سمع الشعر وأثاب عليه .

٤- المستشرقون

تحدث المستشرقون عن التاريخ والأدب العربي والإسلامي وخاضوا مع الخائضين في اشكالية الاسلام والشعر فهم يضربون هدفين بكرة واحدة يضربون خطابنا الادبي ومقوماتنا العقائدية املهم في ذلك هدم الدين والشعر ، ولذلك سعوا في البداية الى خلق خصومة بين الشعر والدين الاسلامي ، اذ يقول المستشرق مرجليوث مشككا في فهم الايات القرآنية التي تتناول الشعر ((وينبغي ملاحظة التهمة التي تستثني الشعراء الصالحين من هذه التهمة ، ولكن اسلوب القران يجعلها غير اكيده فيما اذا كان هذا الاستثناء يخص الشعراء حقيقة)) .



ثم يحاول مرجليوث محاولة مكشوفة حين يشكك بالرسول (عليه الصلاة والسلام) حين يقول عنه : ((اننا نجابه بلغز محير ، ذلك ان محمدا الذي لم يكن مطلعاً على فن الشعر ، كان عارفاً بان ما يوحى اليه ليس شعراً ، في حين ان المكيين الذين في اكبر الظن يعرفون الشعر عندما يسمعوناه ، او يرونه ، كانوا يتفكرون في ذلك اننا كنا نتوقع العكس)) .

ان محاولة الدس ظاهرة ومقصودة تحوم حول شخص النبي (عليه الصلاة والسلام) وقدرته على فهم الشعر . ان الرد على مرجليوث يأتي من قراءة النصوص القرآنية التي تفرق بين الشعر والقران تفريقاً واضحاً ، وإعجاب الرسول (عليه الصلاة والسلام) بالشعر واستماعه له امر طبيعي وان لم يكن شاعراً فهو عربي يطرب للقول البليغ ، ويهتز له ، ويعجب بالشعر الجميل اعجاب اي عربي له ويروى ان النبي (عليه الصلاة والسلام) كان يقول : ((ان من البيان لسحراً ، وان من الشعر لحكمة)) ، وقول النبي (عليه الصلاة والسلام) : ((لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين)) وبذلك فقد حاول اكثر من مستشرق ايقاع الاذى بالإسلام وشعرائه .